مقارنة بين كتابي
معانى القرآن وإعرابه لأبى إسحاق الزجاج
ومعانى القرآن لأبى جعفر النحاس

إعداد الدكتور

محمد بن مصطفى بن علي منصور

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات القرآنية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة طيبة

مقارنة بين كتابي
معانى القرآن وإعرابه لأبى إسحاق الزجاج
ومعانى القرآن لأبى جعفر النحاس

محمد بن مصطفى بن علي منصور

قسم الدراسات القرآنية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة طيبة .

البريد الألكتروني:dr.mohammeedmansour@gmail.com

الملخص :

يحتوى هذا البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة ، تضمنت المقدمة أهمية البحث وأسباب اختياره، ومنهج العمل فيه ، مبينا من خلالها القيمة العلمية للكتابين وأهمية المقارنة بينهما كحقل هام من حقول الدراسات التفسيرية ، وبينت في التمهيد تعريفا موجزا للإمامين وتعريفا بالكتابين محل المقارنة ، ثم قسمت البحث إلى فصلين ، الأول منهما يتحدث عن نقاط الاتفاق بين الكتابين ،والثاني عن نقاط الاختلاف فيما بينهما ، متطرقا في كل فصل إلى جوانب التفسير في كلا الكتابين أثرا ونظرا ، معتمدا في هذه الدراسة على المراجع المعتمدة ، ثم ختمت بنتائج هامة من الدراسة وتوصيات تفيد الباحثين في الدراسات القرآنية خاصة دراسات المقارنة . مذيلا هذا البحث بفهارس للمراجع والموضوعات.

الكلمات المفتاحية : مقارنة – معاني القرآن – إعراب – الزجاج – النحاس .

Comparison btween two books about

The meanings of the Qur'an and its translation by Abu Ishaq elzajaj And the meanings of the Qur'an for Abu Jaafar al-Nahhas

Mohammed bin Mustafa bin Ali Mansour

Department of Qur'anic Studies, College of Arts and Humanities, Taibah University

E-MAIL:dr.mohammeedmansour@gmail.com

Abstract

A comparison between the meanings of the Qur'an and its declension by Abu Ishaq al-Zajjaj and by Abu Jafar al-Nahhas. This research consisted of a preface, an introduction, two chapters, and a conclusion. The introduction discusses the motivation and the importance of the research, and the methodology used in this research. The introduction explains the scientific value of two books in the field of exegesis studies including a brief definition of the two Imams and their books subject of comparison. The first chapter discusses similarities between the two books, while the second chapter discusses the differences between the two books theoretically and practically based on the literature. The research concluded with the main findings and recommendations to all scholars in the Qur'an studies, especially comparative studies. References and appendices are added to the end of this study.

Key words: comparison - Qur'an meanings - translation elzajaj-al-Nahhas

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله- ﷺ –

أما بعد :

فقد أثرى علماء الأمة المكتبة القرآنية بعدد لا يحصى من المؤلفات والمصنفات ، نالوا بها شرف خدمة كتاب الله – تعالى- تفسيرا وبيانا ، وتجويدا وأداء ، واتخذوا من علومهم سببا ينالوا بها شرف تفسير كتاب الله - تعالى – ؛ لأن كل علم ما هو إلا أداة لفهم مراد الله – تعالى – من كلامه ، ومن هؤلاء الأعلام الذين ساهموا في مسيرة علوم التفسير وأثروا في تطور مراحلها ، الإمامان الجليلان والشيخان العلمان : أبو إسحاق الزجاج في مؤلفه (معانى القرآن الكريم وإعرابه)، وأبى جعفر النحاس في كتابه (معانى القرآن)، فقد ظهر هذان الكتابان واحد تلو الآخر ليمثل كل واحد منهما مرحلة مهمة من مراحل التفسير، خاصة في مجال معانى القرآن وإعرابه ، ومن هنا تأتى أهمية هذا الموضوع حيث أحاول أن أظهر به كيف تطورت مدرسة التفسير الخاص بمعاني القرآن والذى بدأ التصنيف فيه العلامة أبو زكريا الفراء المتوفى سنة (٢٠٧ه) ،ثم أبو الحسن الأخفش الأوسط المتوفى سنة (٢١٥هـ) ، ثم العلامة الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ ، فتلميذه النحاس المتوفى(٣٣٨هـ) هؤلاء الأربعة الأعلام الذين صنفوا أربع مصنفات تحمل اسم (معانى القرآن) .

أسباب اختيار هذا الموضوع :

أولا : بيان القيمة العلمية لهذين المصنفين الكبيرين خاصة وأنهما من أئمة اللغة المعنيين بكتاب الله- تعالى – رواية ودراية .

ثانيا : أهمية دراسات المقارنة كحقل ثرى خصب من حقول الدراسات القرآنية يغوص من خلاله الباحث في أعماق المصنفات محل المقارنة ليظهر ما فيها من درر اللطائف والمعاني.

ثالثا: تميز هذه المقارنة بأنها مقارنة بين الأستاذ الشيخ الزجاج وتلميذه أبي جعفر النحاس لنقف على تميز المنهجين وأسلوب الكتابين مع أنهما مدرسة واحدة .

رابعا : عدم وجود دراسات سابقة تتناول المقارنة بين الكتابين فأردت أن أضيف إلى المكتبة القرآنية جهدي المتواضع من خلال سطور هذا البحث.

على أنى لا يفوتني في مقدمة هذا البحث أن أشير إلى من خدموا كتابي أبى إسحاق الزجاج وأبى جعفر النحاس في دراسات في غير حقل المقارنة مما استفدت منه في بحثى هذا مما تناوله الباحثون في دراساتهم مثل :

أ- منهج الزجاج ففي اختياراته في التفسير من خلال كتابه (معانى القرآن وإعرابه) رسالة ماجستير إعداد الباحث / عادل بن محمد بن عمر العُمري إشراف د. بدر بن ناصر البدر الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه العام الجامعي ١٤٢٥- ١٤٢٦هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه.

ب- اختيارات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الحجر ، إلى آخر سورة النمل - أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه) الباحث الدكتور / عبد الهادي بن علي بن سعيد الزهراني - إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد العزيز عزت بن عبد الحكيم أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى.

ت- ما تضمنته بعض الكتب من دراسات تخص الكتابين مثل كتاب (النحو وكتب التفسير)للباحث الدكتور / إبراهيم عبد الله رفيدة ، وكتاب (القرآن وأثره في الدراسات النحوية)للباحث الدكتور / عبدالعال سالم مكرم.

ولا يفوتني أيضا أن أنوه بالذكر إلى كتاب الإغفال أو المسائل المصلحة لأبى على الفارسي المتوفي سنة (٣٧٧هـ)؛ لأنه يعد أقدم دراسة تناولت ما أغفله الزجاج حسب ما رأى تلميذه أبو على الفارسي ، ومن غير ذلك من الدراسات التي ستظهر خلال البحث .هذا وقد استدعى العمل في هذا البحث السير على منهج معين تتضح معالمه فيما يلى :

أولا : تقسيم خطة البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة

المقدمة - وتشمل أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة في الموضوع ومنهج العمل فيه

- أما التمهيد فيشمل مطلبين :

- المطلب الأول : تعريف موجز بالإمامين أبى إسحاق الزجاج وأبى جعفر النحاس.

- المطلب الثاني: تعريف موجز بالكتابين .

أما الفصل الأول فأذكر فيه المتفق عليه بين الكتابين في تفسيريهما :

- وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : اتفاقهما في التفسير بالرواية ، ويشمل المطالب التالية :

- المطلب الأول: مفهوم التفسير بالمأثور

- المطلب الثاني : موقف الإمامين من التفسير بالمأثور

- المطلب الثالث: اتفاقهما في رواية فضائل الآيات والسور.

- المطلب الرابع : اتفاقهما في الاعتماد على المنقول من القراءات

- المطلب الخامس: اتفاقهما في الاعتماد على المنقول من أسباب النزول .

أما المبحث الثاني فعنوانه : ما اتفق عليه الإمامان في التفسير بالدراية، ويشمل المطالب التالية :

- المطلب الأول: مفهوم التفسير بالدراية:
- المطلب الثاني: اتفاق الإمامين في مصادر التفسير بالدراية
- المطلب الثالث: موقف الإمامين من قضايا اللغة وعلوم القرآن

(المحكم والمتشابه - الناسخ والمنسوخ – الاشتراك اللفظي – الترادف – توجيه القراءات-)

- المطلب الرابع : اتفاقهما في الاعتناء بالموازنة والترجيح :
- المطلب الخامس: اتفاقهما في التفسير الفقهي وبيان آيات الاحكام.

أما الفصل الثاني فيشمل ما اختلف فيه الإمامان في تفسيريهما وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : وجوه الاختلاف في التفسير بالرواية وتحته مطالب :

- المطلب الأول : اختلافهما في القدر المروي من التفسير بالمأثور .
- المطلب الثاني : اختلافهما في نسبة الأقوال وتوثيقها .
- المطلب الثالث: اختلافهما في إيراد الإسرائيليات والرد عليها .

- المبحث الثاني : وجوه الاختلاف في التفسير بالدراية وتحته مطالب:

المطلب الأول : اختلاف موقفهما في معنى الحروف المقطعة

المطلب الثاني : اختلاف موقفهما في بيان المكي والمدني

المطلب الثالث: اختلاف موقفهما في توجيه بعض القراءات.

المطلب الرابع : اختلاف موقفهما في الاهتمام بالتوجيه اللغوي ..

أما الخاتمة : تشمل أهم النتائج والتوصيات:

منهجي في كتابة البحث :

استدعى العمل لإتمام هذا البحث السير على منهج معين تتلخص معالمه فيما يلى :

أولا : عقد المقارنة في أوجه الاتفاق والاختلاف بتقديم الحديث عن معانى الزجاج أولا لما له من فضل السبق في التصنيف ، ولأنه شيخ أبى جعفر النحاس فله الأولوية في الذكر والتقديم في الرتبة.

ثانيا : ذكر اسم السورة ورقم الآية عقب الآية مباشرة .

ثالثا : تخريج الأحاديث الواردة في البحث .

رابعا : ترجمة الأعلام الواردة في البحث من كتب التراجم والطبقات .

خامسا : ذكر المراجع العلمية بذكر المرجع ومؤلفه وطبعته عند أول ذكر له في البحث.

سادسا : تذييل البحث بفهارس للمراجع والموضوعات تيسر على القارئ مطالعة البحث.

التمهيد

يتطلب الحديث عن المقارنة بين أي كتابين التقديم لهذه المقارنة بتعريف موجز للإمامين ومصنفيهما ، وهذا ما اقوم به –بعون الله تعالى – في هذا التمهيد بذكر نبذة مختصر عن ترجمة الإمام أبى إسحاق الزجاج والإمام أبى جعفر النحاس، وعن كتابيهما في معانى القرآن وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : التعريف بالإمامين الجليلين :

أولا : أبو إسحاق الزجاج : اسمه وكنيته ولقبه :

هو العلامة الإمام الأستاذ نحوي زمانه ، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، أبو إسحاق، يلقب ب (الزجاج) نسبة إلى عمله بخراطة الزجاج .والبغدادي لأنه ولد ببغداد[1].

شيوخه :

أخذ الزجاج – رحمه الله- من كبار شيوخ العلم في زمانه وعلى رأسهم إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي (ت٢٨٢هـ) ، أبو العباس المبرد المتوفى سنة (٢٨٦هـ) ، عبد اللـه بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ) ، و ثعلب المتوفى سنة (٢٩١هـ)، عبد اللـه بن الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ)وغيرهم.

تلامذته :

(١) انظر تاريخ بغداد٦١٣/٦لمؤلفه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ). ط. دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ تحقيق / الدكتور بشار عواد معروف. إنباه الرواة على انباه النحاة ١٩٤/١. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ) الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

وعلى يديه أيضا تخرج كبار العلماء مثل أبى جعفر النحاس ، وأبو على الفارسي المتوفى سنة(٣٧٧هـ) ، أحمد بن محمد بن الوليد " ولأَّد " (ت٣٣٢هـ)، إسماعيل بن القاسم ، أبو علي القالي (ت٣٥٦هـ): وغيرهم.

مصنفاته :

أثرى أبو إسحاق الزجاج المكتبة القرآنية واللغوية بمصنفات متنوعة منها : ١- معاني القرآن٢-الاشتقاق ٣- العروض ٤- مختصر النحو. ٥- خلق الانسان ٦- (الأمالي) في الأدب واللغة، وغيرها[١] .

وفاته وثناء العلماء عليه :

توفى رحمه الله ببغداد سنة جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وكان آخر كلامه –رحمه الله- : (اللهم احشرني على مذهب الإمام أحمد بن حنبل)[٢] .

وقد أثنى عليه العلماء فقال الخطيب البغدادي – رحمه الله- (من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، ولـه مصنفات حسان في الأدب) [٣] .

ثانيا : أبو جعفر النحاس : أولا : اسمه ونسبه وكنيته :

(١) إنباه الرواة ٢٠٠/١. معجم المؤلفين للأستاذ / عمر رضا كحالة ٣٣/١. ط. عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ط. مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) معجم الأدباء ٥٣/١. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

(٣) تاريخ بغداد ٧٨/٦.

هو :أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي أبو جعفر النحّاس النحوي ، المصري ، يلقب بالنحاس ، ويقال ابن النحاس، ويلقب أيضا بالصفار [٤]

ثانيا : شيوخه : تتلمذ على أيدى عدد كبير منهم أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الأصغر المتوفى سنة (٣١٥)، وأبو عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه المتوفى سنة (٣٢٣هـ)، وعن أبي إسحاق الزجاج؛ وقال: قرأت على أبي إسحاق في كتاب سيبويه. [١]

ثالثا : تلامذته :

وكان له –رحمه الله- جمع من العلماء الذين أخذوا عنه ، يقول فيه ابن خلكان (كان للناس رغبة في الأخذ عنه ،فنفع وأفاد، وأخذ عنه خلق كثير) [٢] ومن هؤلاء :

١_فضل الله الكزني المتوفى (٣٣٥هـ) ٢- منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي المتوفى سنة (٣٥٥هـ) ٣- وأبو محمد الجزري المتوفى سنة (٣٦٠هـ)[٣].

---

(٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٢١٧/١.المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) ط. مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن. تحقيق : إبراهيم السامرائي الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. طبقات النحويين واللغويين للزبيدى الأندلسي المتوفى سنة ٣٧٩هـ ص٢٢٠. ط.دار المعارف القاهرة . تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم .

(١) سير أعلام النبلاء٤٠١/١٥. شمس الدين الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المؤلف: أبو العباس شمس الدين ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ) ١٠٠/١.ط. المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت

(٣) اختيارات أبى جعفر النحاس في التفسير إعداد الدكتور/عبد الهادي بن علي بن سعيد الزهراني ٤٨.رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه – جامعة أم القرى .

رابعا: مصنفاته :

وله مصنّفات في القرآن؛ منها كتاب إعراب القرآن وكتاب معانى القرآن ،والناسخ والمنسوخ ، والكافي في النحو[١] .

خامسا : وفاته وثناء العلماء :

توفى –رحمه الله- بمصر في شهر ذي الحجة سنة ٣٣٨هـ .وقد أثنى العلماء على ما تركه من علم وتصانيف ، قال الشيخ الذهبي – رحمه الله – في السير : (العلامة، إمام العربية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف. ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن الزجاج، وكان ينظر في زمانه بابن الأنباري، وبنفطويه للمصريين ...إلى أن قال : وكان من أذكياء العالم)[١] وقال السيوطي في بغية الوعاة (كان عالما بالنحو، صادقا، وكتب الحديث)[٢]

المطلب الثاني التعريف بالكتابين :

أولا معانى القرآن للزجاج :

بينت في المطلب السابق أن الإمام أبى إسحاق الزجاج كان كثير العلم والتصنيف ،وألف في أكثر من مجال من مجالات العلوم ولكن تفسيره لمعاني القرآن الكريم يعد من أهم ما صنف –رحمه الله- وهو كتاب قيم اثنى عليه كثير من أهل العلم وجعلوه مصدرا من مصادرهم في التفسير واللغة بل إني لا أبالغ حين أقول أن كل كتاب جاء بعده من كتب التفسير والمعاني

(١) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ص٣٤.. لأبى المحاسن التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ) تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٥.

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٣٦٢/١. للحافظ جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

أخذ منه واستفاد من هذا الكتاب، مثل أبى جعفر النحاس في كتابه معانى القرآن ، والواحدي المتوفى سنة (٤٦٨هـ)في تفسيره البسيط ، والسمعاني المتوفى سنة (٥٦٢هـ) في تفسيره ، وابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) في زاد المسير، والبغوي المتوفى سنة (٥١٦هـ) في معالم التنزيل ، والزمخشري المتوفى (٥٣٨هـ) في الكشاف وغيرهم ، بل قال حاجى خليفه عنه إن منه(مأخذ الكشاف)[1] مما يدل على مكانة هذا الكتاب وأهميته .

ثانيا :كتاب أبى جعفر النحاس :

يعرف هذا الكتاب ب (معانى القرآن) وهو أحد الدراسات القرآنية التي قام بها العلامة أبو جعفر النحاس بجانب كتابه (إعراب القرآن) وكتابه (الناسخ والمنسوخ) ، وهذا الكتاب كما سنبين – إن شاء الله- يمثل مرحلة مهمة من مراحل كتب المعاني في تفسير القرآن حيث انفرد فيه مؤلفه بأسلوب يغاير ما كتبه شيخه الزجاج ، وأسلافه من العلماء الذين دونوا في معانى القرآن مثل الفراء والأخفش ، حيث اهتم النحاس بالمعنى بصنعة التفسير لآيات القرآن بالأثر أكثر من الصنعة اللغوية.

وهذا الكتاب قامت بنشره جامعة ام القرى بتحقيق الشيخ / محمد على الصابوني ، الذى بين ندرة مخطوط هذا الكتاب وكيف فقدت أجزاء منها ، وهذا واضح في أن معانى القرآن لم يجد منه من أول سورة الحجرات إلى آخر القرآن .

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٤٥٩/٢.لمؤلفه /مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) مكتبة المثنى – بغداد .

الفصل الأول:

المتفق عليه بين الإمامين في تفسيريهما :

وفيه مبحثان

المبحث الأول :

نقاط الاتفاق في التفسير بالرواية

المبحث الثاني:

نقاط الاتفاق في التفسير بالدراية

المبحث الأول

نقاط الاتفاق في التفسير بالرواية

المطلب الأول : مفهوم التفسير بالمأثور :

المطلب الثاني : موقف الإمامين من التفسير بالمأثور

المطلب الثالث: اتفاقهما في رواية فضائل السور والآيات

المطلب الرابع : اتفاقهما في الاعتماد على المنقول من القراءات

المطلب الخامس: اتفاقهما في الاعتماد على المنقول من أسباب النزول

المطلب الأول

مفهوم التفسير بالمأثور

عرف العلماء التفسير بالمأثور بأنه : (ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول - ﷺ- ، وما نُقِل عن الصحابة- رضوان الله عليهم- ، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم)[١]..وهذا النوع من التفسير الغرض منه بيان معنى المفردة أو التركيب القرآني مستندا إلى أصل من هذه الأصول قرآنا وسنة أو ومرويات الصحابة والتابعين .

والتفسير بالمأثور له قيمته العلمية ؛ لأنه يعتبر الأصل في التفسير، وهو الذي يجب اتباعه عند الاختلاف ، خاصة الصحيح منه ، قال الشيخ مناع القطان في كلامه عن التفسير بالمأثور الصحيح : (التفسير بالمأثور هو الذي يجب اتباعه والأخذ به؛ لأنه طريق المعرفة الصحيحة. وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ في كتاب الله...) [٢] وقال الشيخ صبحى الصالح – رحمه الله- : (والتفسير بالمأثور إذا اجتمع إليه حسن الاستنباط، وسعة الثقافة، والمقدرة على الترجيح هو أولى التفاسير بالاعتبار)[٣]، فكيف تعامل العلمان الجليلان مع هذا النوع من التفسير ؟ وما هي مواضع الاتفاق فيما بينهما في هذا الجانب من التفسير؟ هذا ما أبينه- بعون الله- في المطلب التالي :

---

(١) التفسير والمفسرون ١١٢/١. الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص:٣٥٠.ط. مؤسسة الرسالة .الطبعة الثانية . (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

(٣) مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحى الصالح ص:٢٩٨.ط. دار العلم للملايين الطبعة الرابعة والعشرون ٢٠٠٠م.

المطلب الثاني

موقف الإمامين من التفسير بالمأثور

أولا: التفسير بالمأثور في معانى القرآن للزجاج:

يلحظ المطالع لكتاب معانى القرآن لأبى إسحاق الزجاج – رحمه الله- أنه أعطى التفسير بالمأثور مساحة من تفسيره ، يدعم بها أقواله وبيانه لمعنى الآيات ، مدللا بذلك على سعة علمه واطلاعه ، وسبره لأغوار الرواية والدراية ، ومن نماذج اعتماده على التفسير بالمأثور :

١:من نوع تفسير القرآن بالقرآن قوله عند تفسير قوله –تعالى - في سورة البقرة : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ البقرة ٣) قال : (معناه يُتمُّونَ الصلاة كما قال: - (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ...البقرة ١٩٦)[١] ومنه أيضا قوله عند تفسير قوله - تعالى- : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا الفرقان٧٣) قال :(وقوله عزَّ وجلَّ: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) تأويله أعرضوا عنه، كَما قال الله -عزَّ وجلَّ-: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ...القصص ٥٥)[٢].

٢: من نوع التفسير بما روى عن النبي – ﷺ – ما جاء في تفسير قوله تعالى (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ...البقرة ٢٧٣) قال : (ومعنى: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا » ...). روي عن النبي - ﷺ - أنَّه قال " من سأل وله أربعون درهماً فقد ألْحَفَ).[٣]

---

(١) معانى القرآن للزجاج ٧٢/١.ط. المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٢) معانى القرآن للزجاج ٧٧/٤.

(٣) معانى الزجاج :٣٥٧/١. والحديث راوه الطبرانى في المعجم الكبير ١٥٠/٢ . حديث رقم ١٦٣٠. قال في مجمع الزوائد والحديث أخرجه الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، وَهُوَ ثِقَة .مجمع الزوائد

٣: ومما نقله عن الصحابة ما جاء عند تفسير - قوله تعالى- : (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ. .. آل عمران ٧) قال : (روي عن ابن عباس[١]- رضي الله عنهما - إنَّه قال: الَمحكمات: الآيات في آخر الأنعام. وهي قوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُم»... الأنعام ١٥١)إلى آخر هذه الآيات، والآيات المتشابهات (الم والمر) وما اشتبه على اليهود من هذه ونحوها)[٢].

رابعا : ومن نماذج نقله لروايات التابعين ما ذكره في تفسير قوله – تعالى - (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا مريم ٢٤)قال : («قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سريا". روي عن الحَسنِ أنه قال يعنى عيسى، وقال: كان واللَّه سَرِيًّا من الرجال، فعرف الحسنُ أن من العرب من يسمي النهر سرياً فرجع إلى هذا القول [٣].

ولا يتسع المجال لكثير من الأمثلة ، وإنما أردت من وراء ذلك بيان مكانة التفسير بالمأثور في كتاب الزجاج – رحمه الله- :

ثانيا : موقف أبى جعفر النحاس من التفسير بالمأثور:

من النماذج الواضحة في كتاب النحاس والتي تدل على اعتماده على الرواية كمصدر أساسي من مصادر التفسير كما فعل شيخه الزجاج :

١-من تفسير القرآن بالقرآن قوله في تفسير قوله تعالى : (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ...النساء (١)) قال : (قال تعالى « وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

٣٣١/٩.موصححه الألبانى في السلسلة الصحيحة ٣٣١/٥.ط.مكتبة المعارف ز الطبعة الأولى .

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، حبر الأمة وترجمان القرآن توفى سنة ٦٨هـ وقيل غير ذلك . أسد الغابة ١٩٠/٣. عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)الناشر: دار الفكر – بيروت عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(٢) معانى الزجاج ٣٧٦/١.

(٣) معانى الزجاج ٣٢٥/٣.

وَنِسَاءً ... » يقال : بثثت الشيء وأبثته بثا إذا نشرته ، ومنه «كالفراش المبثوث ... القارعة ٤»)[١].

٢-ومن تفسيره بالسنة استشهاده بحديث رسول الله -ﷺ- عن تفسير قوله – تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ...الآية ١٩٧البقرة) ، قال : (عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ - قال : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » [٢] والمعنى على هذا : من حج فاتقى في حجه ما ينقصه فلا إثم عليه من الذنوب الخالية أي قد كفر الحج عنه)[٣]

١-ومن تفسيره بأقوال الصحابة قوله في تفسير (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) قال: (روى مسروق[٤] عن عبد الله بن مسعود[٥] وعكرمة[٦] عن ابن

(١) معانى القرآن للنحاس ٨/٢. المحقق: محمد علي الصابوني الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرمة الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

(٢) صحيح البخارى ١١/٣.حديث رقم ١٨٢٠.كتاب (الحج) باب (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ} [البقرة: ١٩٧])

(٣) معانى القرآن للنحاس ١٤٧/١.

(٤) مسروق : مسروق بن الأجدع وهو عبد الرحمن بن مالك، مات سنة ٦٣هـ . الطبقات الكبرى ٨٤/٦.ط. دار صادر. المحقق: إحسان عباس الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م

(٥) عبد الله بن مسعود : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ،الصحابي الجليل الإمام الحبر فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري توفى سنة ٣٢هـ .سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨٠/٣.

(٦) عكرمة بن عبد الله الحبر العالم أبو عبد الله البربريّ ثم المدني الهاشميّ مولى ابن عباس، مات رحمه الله سنة أربع ومائة بالمدينة. طبقات المفسرين للداودي ٣٧٨/١.ط. دار الكتب العلمية

عباس[1] قالا في قوله تعالى وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) هذه كلها الملائكة)[2] .

١- من تفسيره بأقوال التابعين قوله في تفسير قوله تعالى (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ...غافر ٣) قال : (ذِي الطَّوْلِ) قال : ذي الغنى وروى سعيد عن قتادة[3]، قال: ذي النعمة)[4] .

وبعد هذا العرض الموجز لمنهج الكتابين في التفسير بالمأثور نصل إلى أن من نقاط الاتفاق بين أبى إسحاق الزجاج ،وأبى جعفر النحاس الاعتماد على التفسير بالرواية كمصدر من مصادر التفسير وكشف معانى الآيات .

(١) ابن عباس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ- حبر الأمة ،وترجمان القرآن ، توفى سنة ٦٨هـ

(٢) معانى .النحاس ٧/٦.

(٣) قتادة : قتادة بن دعامة السدوسي وكان يكنى أبا الخطاب، وكان ثقة مأمونا، حجة في الحديث، توفى سنة ١١٨هـ .الطبقات الكبرى ٢٣١/٧.

(٤) معانى . النحاس ٢٠٣/٦

المطلب الثالث

اتفاقهما في رواية فضائل السور والآيات:

من المسائل التي يعرض لها المفسر في تناوله لتفسير الآيات والسور مسألة فضائل السور والآيات ، وقد تتباين مناهج المفسرين في تناول هذه القضية بين ناقل لها جامعا بين الصحيح والضعيف بل والموضوع [(١)]،ومنهم من يتحفظ في نقل أي أثر منها اللهم إلا القليل النادر [(٢)]، ومنهم من سار على المنهج الوسط فذكر الصحيح المقبول ،وأعرض عن الضعيف المردود [(٣)]، فكل مفسر له منهجه في تناول هذه القضية ، حسب ما يرى من صحة الأحاديث أو ضعفها ، واستدعت المقارنة بين الإمامين إبآ إسحاق الزجاج وأبى جعفر النحاس أن نعرف كيف تعاملا مع هذه المسالة؟ والجواب أن كلا من الشيخين ذكر في كتابه طرفا من الفضائل بصورة متفرقة في كتابيهما ، منها ما يتعلق بالسور ، ومنها ما بتعلق بالآيات ، فهما متفقان في ذلك ومن النماذج على ذلك :

(١) من ذلك ما يذكره المفسرون في كل سورة من حديث فضائل السور الذى وضعه نوح الجامع في فضائل السور كالزمخشري والبيضاوي وأبو السعود وغيرهم.

(٢) مثلما فعل أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن حيث قال في هذه المسألة : (فضل الفاتحة: ليس في أم القرآن حديث يدل على فضلها إلا حديثان: أحدهما: حديث: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين». الثاني: حديث أبي بن كعب: «لأعلمنك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها». وليس في القرآن حديث صحيح في فضل سورة إلا قليل سنشير إليه، وباقيها لا ينبغي لأحد منكم أن يلتفت إليها). : أحكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٣) مثل ما فعل ابن عطية في المحرر الوجيز ، وأبو حيان في البحر المحيط وغيرهما .

أولا : من تفسير معانى القرآن للزجاج :

١- قوله في فضل سورة الفاتحة (وروي في التفسير أنه مَا أعْطِيَتْ أمَّة كما أعْطِيَتْ أمَّةُ محمد - ﷺ - من سورة الحمد)[١] .

٢- قوله في تفسير آية الكرسي : (يروى عن ابن عباس رحمة الله عليه أنَّه قال: أشرف آية في القرآن آية الكرسي)[٢] .

٣- قوله في فضل سورة الأنعام : (بلغني مِنْ حَيث أثق بِه أن سورةَ الأنعام نزلتْ كلها جملة واحدة، نزل بها سبعون ألف ملك لهم زَجَل بالتسبيح).[٣]

ثانيا : من تفسير معانى القرآن للنحاس :

يتفق أبو جعفر النحاس مع الشيخ الزجاج في إيراد فضائل السور لكن ليس بنفس المقدار بل أقل منه وذلك فيما ظهر لي من استقراء المواضع في تفسير الزجاج ،وتفسير النحاس ما عدا الجزء المفقود منه من سورة الحجرات إلى آخر القرآن،

(١) معانى القرآن للزجاج ١٨٥/٣.
(٢) معانى .الزجاج ٣٣٦/١.
(٣) معانى القرآن للزجاج ٢٢٧/٣.

ومن النماذج في تفسير النحاس :

١- قوله في سورة الفاتحة : (وروى ابن ابي ذئب[١] عن المقبري[٢] عن أبي هريرة[٣] عن النبي - ﷺ- قال: «فاتحة الكتاب هي السبع المثاني »، عن ابي هريرة ان النبي -ﷺ - قرأ عليه ابي بن كعب فاتحة الكتاب ، فقال : «والذي نفسي بيده ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها انها السبع من المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيته»)[٤] .

٢- قوله في سورة الأنعام (قال رسول الله - ﷺ- « نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض لهم ترتج ورسول الله يقول سبحان ربي العظيم ثلاث مرات»)[٥] .

(١) ابن أبى ذئب : محمد ابن عبد الرحمن ابن المغيرة ابن الحارث ابن أبي ذئب القرشي العامري أبو الحارث المدني ثقة فقيه فاضل تقريب التهذيب ٤٩٣/١.ط. دار الرشيد – سوريا .

(٢) المقبري : سعيد ابن أبي سعيد كيسان المقبري أبو سعد المدني ثقة من الثالثة تغير قبل موته بأربع سنين وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة مات في حدود العشرين. تقريب التهذيب ٢٣٦/١.

(٣) أبو هريرة : الصحابي الجليل عبدالرحمن بن صخر الدوسي توفى سنة ٨٥هـ .الاستيعاب ١٧٧٢/٤.

(٤) معانى القرآن للنحاس ٤٨/١. والحديث رواه الإمام مالك في الموطأ باب (ما جاء في أم القرآن) حديث رقم (٣٧) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان .

(٥) معانى القرآن للنحاس ٣٩٧/٢

المطلب الرابع

اتفاقهما في الاعتماد على المنقول من القراءات:

للعلمين الجليلين باع طويل ،وقدم راسخة في الإلمام بعلم القراءات تأصيلا وتوجيها ،ورواية ودراية ، ولهذا كان الاهتمام بالقراءات توثيقا وتوجيها عاملا مشتركا بين الكتابين يطول سرده ،وأكتفى بذكر بعض المواضع عن كليهما للدلالة على ما ذكرته :

أولا : من معانى القرآن للزجاج :

حيث قال – رحمه الله- في تفسير قوله تعالى – (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ المنافقون ٣) قال : (وقرئت فَطَبَع على قلوبِهِم. ورويت فَطَبَعَ الله على قلوبهم. والقراءة المعروفة المجمع عليها ههنا فَطُبِعَ، على ما لم يسمَّ فاعله. ويجوز في العربيَّةِ فطبعْ عَّلى قلوبهِمْ على إدغام العين في العين لأنهما من مخرج واحد، ولاجتماع الحركات لأنه يجتمع لسِت حَرَكاتٍ، ومن ترك الإدغام فلأن الحرفين).[١]

ولم تقف حدود نقله –رحمه الله- عند القراءات المتواترة، بل أحيانا كان ينقل من القراءات التفسيرية التي قد يستأنس بها في تأكيد معنى أو تأييد مذهب ،ومن ذلك ما ذكره رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (وقيل " أَيْدِيَهُمَا " يعْني به أَيْمانهُما وفي قراءَة ابن مسعود "والسَّارقون والسارقاتُ فاقْطَعُوا أَيْمانَهُمْ")[٢] .

(١) معانى القرآن للزجاج ١٧٥/٥.
(٢) معانى القرآن للزجاج ١٧٢/٢.

ثانيا :من معانى القرآن للنحاس:

قال-رحمه الله- :(وقوله - جل وعز- « وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...يوسف٢٣»)

قال سعيد بن جبير[١] أي تعاله ، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: « لا تنطعوا في القرآن فإنما هو مثل قول أحدكم هلم وتعال ثم قرأ عبد الله وقالت هيت لك » بفتح الهاء والتاء ، وروي عن مجاهد[٢] وعكرمة أنهما قرءا «وقالت هئت لك» بالهمز، قال قتادة : قرأ ابن عباس هئت لك ، قال عكرمة: أي تهيأت لك ، وأنكر الكسائي[٣]هذه القراءة وقال : لا أعرف هئت لك بمعنى تهيأت وهي عند البصريين جيدة ؛ لأنه يقال : هاء الرجل يهاء ويهيئ هيأة فهاء يهئ مثل جاء يجئ وهئت مثل جئت)[٤] .

وكذلك يتفق الشيخ النحاس مع شيخه الزجاج في الاستشهاد بالقراءات التفسيرية ،و من ذلك قوله في تفسير قوله – تعالى-: (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ... المائدة٨٩) ، قال : (وفي قراءة عبد الله بن أبي بن كعب[٥] «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات»)[٦] .

---

(١) سعيد بن جبير : سعيد بن جبير ويكنى أبا عبد الله مولى لبني والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة، توفى سنة ٩٤هـ .الطبقات الكبرى ٢٥٦/٦.

(٢) مجاهد : مجاهد بن جبر ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي، توفي مجاهد سنة اثنتين ومائة وهو ساجد. الطبقات٤٦٧/٥.

(٣) الكسائي : عَلِيّ بن حَمْزَة بن عبد الله بن عُثْمَان الإِمَام أَبُو الْحسن الْكسَائي إِمَام الْكُوفِيّين فِي النَّحْو واللغة، وَأحد القرّاء السَّبْعَة الْمَشْهُورين. توفى سنة ١٨٢هـ . بغية الوعاة للسيوطي .١٦٢/٢.

(٤) معانى القرآن للنحاس ٤١٠/٣

(٥) لعل الصواب أبى بن كعب.

(٦) معانى القرآن للنحاس ٣٥٤/٢.

المطلب الخامس

اتفاقهما في الاعتماد المنقول من أسباب النزول

لأسباب النزول دورها في كشف معنى الآيات ودفع الإشكال الوارد عليها ، قال الإمام ابن تيمية[1]: (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[2] ، لهذا اعتنى الشيخان أبو إسحاق الزجاج وأبو جعفر النحاس بذكر أسباب النزول ما احتاج الأمر إلى ذلك، وهذه من نقاط الاتفاق بين الشيخين ، ومن نماذج ذلك :

أولا : من معانى القرآن للزجاج :

١- عند تفسير قوله –تعالى- : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ...)[3] قال الزجاج : (قيل: إِنَّه كان قوم قالوا: فما نَصنع بصَلاتِنَا التي كنا صليناها إلى بيت المقدس، فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ: (ومَا كَانَ اللَّه ليُضِيعَ إيمَانَكُمْ...).[4]

ما ذكره – رحمه الله- في تفسير قوله تعالى : (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)(٣)، حيث قال الزجاج : (اختلف الناسُ في تأويل (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ

---

١ ابن تيمية : الشيخ، الإمام، العلامة، فقيه العصر، شيخ الحنابلة، مجد الدين، أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي الحراني، ابن تيمية. توفى سنة ٦٥٢هـ . سير أعلام النبلاء ٢٩١/٢٣.

٢ مقدمة في أصول التفسير ص٤٧ لتقي الدين ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان
الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣ سورة البقرة آية رقم (١٤٣)

٤ سورة الأنعام آية رقم (١٤١).

حَصَادِهِ) فقيل إن الآية مكيَّةٌ. وروي أن ثابت بن قيس بن شماس[١] صَرَمَ خَمْسَمائَةِ نَخْلة ففرَّق ثِمَارَها كُلَّه ولم يُدْخِلْ مِنْهُ شَيْئاً إلى مَنْزِله، فأنزل اللَّه - عزَّ وجلَّ -: (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا).[٢] .

ثانيا : من معانى القرآن للنحاس :

١-قال رحمه الله - : (وقوله - جل وعز – « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ...»البقرة ١٨٩).سبب نزول هذه الإبة أن بعض المسلمين يسأل النبي- ﷺ- لم خلقت هذه الأهلة؟ فأنزل الله -عز وجل - قل هي مواقيت للناس والحج فجعلها الله -عز وجل - مواقيت لحج المسلمين وإفطارهم وصومهم ومناسكهم ولعدة نسائهم ومحل دينهم والله اعلم بما يصلح خلقه).[٣]

٢- قال رحمه الله- : (وقوله -جل وعز- « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ...الإسراء ٨٥)روي عن عبد الله بن مسعود قال كنت مع النبي –صلى الله عليه وسلم- فسألته اليهود عن الروح ، فسكت ، فحسبت أنه يوحى إليه فتنحيت ؛ فأنزل عليه (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) يعني :اليهود ، فقالوا نجد مثله في التوراة)[٤] .

وبناء على مطالعتي للكتابين والمقارنة بينهما في هذا الباب أصل إلى أن بينهما نقطتي اتفاق :

الأولى :إيراد أسباب النزول للاستعانة بها في فهم وتفسير الآية .

الثانية : أنهما – أحيانا -قد يوردا أسبابا ضعيفة غير مقبولة معنى دون أن يبينا تضعيفها فضلا عن إبطالها ، وبيان وجه الدخل فيها ،مثل ما صنعا

(١) ثابت بن قيس : ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك الأنصاري، استشهد يوم اليمامة. سير أعلام النبلاء ٣١٣/١.
(٢) معانى القرآن للزجاج ٢٩٧/٢.
(٣) معانى النحاس ١٠٣/١.
(٤) معانى القرآن للنحاس ١٨٩/٤.

في تفسير قوله تعالى في سورة الحج وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ.... الحج ٥٢) من ذكر القصة المسماة الغرانيق الباطلة[١] وتفسيرهما لقوله –تعالى- : (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ..الأحزاب ٣٧) من أن النبي-ﷺ – كان يحب زينب[٢] ويريد ألو طلقها زيد[٣] [٤] .

وبهذا يظهر توافق الكتابين في مواطن متعددة من التفسير بالرواية ، وأنتقل الآن إلى مواطن اتفاقهما في التفسير بالدراية. .

(١) انظر معانى القرآن الزجاج ٣٤٣/٣. ومعانى القرآن النحاس ٤٢٧/٤.

(٢) زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ أخت عبد الله بن جحش. وهي أسدية من أسد بن خزيمة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ ، وتكنى أم الحكم. توفيت سنة ٢٠هـ . أسد الغابة ١٢٦/٧

(٣) زيد: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى يكنى أبا أسامة، حب رسول الله –ﷺ – استشهد في مؤتة سنة ٨هـ . أسد الغابة ٣٥٠/٢.

(٤) انظر معانى القرآن الزجاج ٢٢٩/٤.ومعانى القرآن النحاس ٣٥٢/٥.

المبحث الثاني

المتفق عليه بين الإمامين في التفسير بالدراية وفيه مطالب :

المطلب الأول: مفهوم التفسير بالدراية .

المطلب الثاني: اتفاق الإمامين في مصادر التفسير بالدراية .

المطلب الثالث: موقف الإمامين من قضايا اللغة وعلوم القرآن .

(المحكم والمتشابه - الناسخ والمنسوخ - الاشتراك اللفظي – الترادف– توجيه القراءات)

المطلب الرابع:: اتفاقهما في الموقف الفقهي من آيات الإحكام .

المطلب الخامس : اتفاقهما في منهج الموازنة والترجيح.

المطلب الأول

مفهوم التفسير بالدراية

كما اتفق العلمان الجليلان في منهجيهما في التفسير بالمأثور في نقاط مختلفة ، كذلك اتفقا في التفسير بالدراية ،و والتفسير بالدراية له مكانته عند العلماء ، خاصة التفسير بالرأي المحمود الموافق لأصول الدين ، ومسلمات اللغة وضوابطها ..

ويعرف العلماء التفسير بالرأي فيقولون : (التفسير بالنظر المجرَّد الذي لا يخالف اللغة، بل يستعين بمناهجها، ولا يخالف السنة، بل يعتمد على الصحيح من أسانيدها إن صحَّت عنده، ولا يناقض تفسير الصحابة المأثور، ولا أسباب النزول التي صحَّت بسند صحيح)[1].

وهذا التعريف يجمع جزئيات التفسير بالرأي المحمود ،ويمنع كل ما يتصل بالرأي المذموم ، ولا شك أن الرأي المستند إلى السنة الصحيحة والمستشهد بأقوال السلف له نصيبه من القبول والوجاهة .

والتفسير بالدراية حاضر بغزارة في كلا التفسيرين فقد اعتنى الشيخان باللغة واشتقاق المعنى والاستشهاد على ذلك من كلام العرب وأشعارها ، وأقوال كبار الأئمة ، والمدارس اللغوية على اختلاف مناهجها، وهذا ما سيظهر في السطور التالية:

(١) المعجزة الكبرى القرآن للشيخ محمد أبو زهرة ص: ٤٠٤. ط. دار الفكر العربي .

المطلب الثاني

اتفاق الإمامين في مصادر التفسير بالدراية

سبق في المبحث الأول اتفاق الإمامين على النقل من التفسير بالمأثور واعتماده مصدرا من مصادر التفسير في كتابيهما ،لتكون المرويات التي أوردها كل منهما في كتابه أول هذه المصادر ، أما من ناحية التفسير بالدراية ، فقد نوع كل من الشيخين مصادره في دعم ما يراه من مذهب في تفسير الآيات وكشف دلالاتها ،ظهر هذا التنوع في اعتمادهما على أقوال الأئمة الكبار في اللغة ،والفقه، واعتمادهما على مأثور كلام العرب، وبيان ذلك كالتالي :

١- أخذ العلمان الجليلان من المرويات ما يؤكد مذهبيهما في شرح معانى الكلمات ،وصحتها لغويا ، ومن مثال ذلك :

- في تفسير الزجاج عند تفسيره لقوله تعالى : (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...الآية) ضبط ر- رحمه الله- اللغات في لفظ جبريل فقال : (جبريل في اسمه لغات قرئ ببعضها ومنها ما لم يُقْرأ به، فأجود اللغات جَبْرَئِيل - بفتح الجيم، والهمز، لأن الذي يروى عن النبي - ﷺ - في صاحب الصور " جَبْرَئِيل عن يمينه وميكائيل عن يساره...)[١] فقد استشهد بالحديث ليؤكد على صحة لغة جبرائيل وهى قراءة متواترة.

- في تفسير النحاس وعند –قوله تعالى- (حتى عفوا..)[٢] قال –رحمه الله-(قال مجاهد أي كثرت أموالهم وأولادهم، وذلك معروف في اللغة ومنه الحديث عن النبي ﷺ أنه قال أعفوا اللحى أي كثروها)[٣] .

(١) معانى القرآن للزجاج ١٧٩/١.

(٢) سورة الأعراف آية رقم (٩٥).

(٣) معانى القرآن للنحاس ٧٥/٣. والحديث المستشهد به رواه البخاري في صحيحه باب إعفاء اللحى وترجم له بالآية محل الدراسة انظر الصحيح ١٦٠/٧.

٢- اعتمد كل من الشيخين على ما ورد في كلام العرب وأشعارها كمصدر من مصادر التفسير ، ومن ذلك :

١-ما جاء في معانى الزجاج عند تفسير قوله –تعالى(مالك يوم الدين) قال : (والدِّينُ أيضاً في اللغة العَادَة، تقولُ العربُ مازَال ذلك دِيني، أي عَادَتي. قال الشاعر: تقول إذا دَرَاتُ لها وضيني ...أهذا دِينه أبداً ودِينِي)[١].

٢-وما جاء في تفسير النحاس عند تفسير قوله –تعالى – (قد جعل ربك تحتك سريا)[٢] قال : (السري الجدول والنهر الصغير وكذلك هو في كلام العرب قال لبيد * فتوسطا عرض السرى وصدعا * مسجورة متجاوزا قلامها)[٣] .

٣-من المصادر الأساسية في كلا الكتابين أيضا النقل عن كبار الأئمة في اللغة مثل سيبويه[٤]والخليل[٥] .

(١) الزجاج ٤٨/١.والبيت المستشهد به من شعر المثقب العبدى وهو العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة. شاعر جاهلي و انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام٢٧١/١.ط. دار المدني – جدة . تحقيق / محمد محمود شاكر .

(٢) سورة مريم آية رقم (٢٤)

(٣) معانى القرآن للنحاس ٣٢٥/٤. والبيت من شعر لبيد بن ربيعة العامري من معلقته الى مطلعها عفت الديار . انظر ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص:١٠٧.ط. دار المعرفة.

(٤) سيبويه : إمام النحو ، حجة العرب ، أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، ثم البصري . وقد طلب الفقه والحديث مدة ، ثم أقبل على العربية ، فبرع وساد أهل العصر ، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه .توفى سنة ١٨٨هـ. إنباه الرواه٣٤٦/٢.

(٥) الخليل : الْخَلِيل بن أَحْمد بن عَمْرو بن تَمِيم الفراهيدي الْبَصْرِيّ أَبُو عبد الرَّحْمَن صَاحب الْعَرَبيَّة وَالْعرُوض و توفى سنة ١٧٠هـ سيرأعلام النبلاء ٩٧/٧.

وعلماء مدرسة البصرة كأبى عمرو[١] وقطرب[٢] والجرمي[٣]، ومن علماء الكوفة مثل الكسائي[٤] وثعلب والفراء.

وبهذا يظهر تنوع المصادر عند كلا الإمامين ليخرج كل واحد منهما عملا مميزا ، ظهرت فيه شخصية كل عالم على حدة عملا متكاملا في استخراج معانى القرآن الكريم .

(١) أبو عمرو : زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله ، المازني البصرى أحد السبعة توفى سنة ١٥٤هـ . غاية النهاية لابن الجزري ٢٩٢/١. ط. مكتبة ابن تيمية.

(٢) قطرب : محمد بن المستنير أبو علي النحوي المعروف بقطرب لازم سيبويه، وكان يدلج إليه، فإذا خرج رآه على بابه، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل! فلقب به .توفى سنة ٢٠٦هـ .بغية الوعاة /٢٤٢.

(٣) الجرمي : صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي البصري مولى جرم بن زبان؛ من قبائل اليمن؛ كان فقيها عالما بالنحو واللغة، دينا ورعا حسن المذهب، صحيح الاعتقاد، توفى سنة ٢٢٥هـ . بغية الوعاة ٩/٢.

(٤) الكسائي : على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن ، الأسدي مولاهم الكسائي ، أحد القراء السبعة توفى سنة ١٨٩هـ . غاية النهاية ٥٣٨/١.

المطلب الثالث

موقف الإمامين من قضايا اللغة وعلوم القرآن

وفيه نقاط تتعلق بمناقشة الإمامين لقضايا علوم القرآن وما بينهما من نقاط اتفاق في كل منها:

أولا : اتفاقهما في تعريف المحكم والمتشابه :

لا يكاد مفسر يمر بتفسير قوله تعالى في سورة آل عمران إلا ويتعرض لتفسير قوله – تعالى - : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)) مبينا قضية المحكم والمتشابه وناقلا لما قاله علماء الأمة في هذه تعريفهما ، وهذا ما فعله الإمام الزجاج والإمام النحاس كل في تفسيره ، ويلاحظ المطالع لما قالا أن كلامهما متقارب في معنى المحكم والمتشابه ،حيث قال الزجاج – رحمه الله- : ما ملخصه ومؤداه :أن المحكم والمتشابه لهما تعريفان الأول : (ما روى عن ابن عباس –رضى الله عنهما –إنَّه قال: الَمحكمات: الآيات في آخر الأنعام. وهي قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...الأنعام ١٥١) إلى آخر هذه الآيات، والآيات المتشابهات (ألم و ألمر) وما اشتبه على اليهود من هذه ونحوها). والتعريف الثاني هو :أن المحكم : معنى (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ)، أي أحكمت في الإبانة فإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويلها لأنها ظاهرة بينة نحو ما أنبأ الله من أقاصيص الأنبياءِ مما اعترف به أهل الكتاب وما أخبر الله به من إنشاءِ الخلق، والمتشابه هو: ما احتاجوا فيه إلى النظر والتدبر ، وعلق – رحمه الله – بقبول القولين وإن كان يفضل منهما الثاني[1] .

(١) من معانى الزجاج باختصار ٣٧٦/١ وما بعدها .

وهذا تقريبا ما مال إليه النحاس في معانى القرآن قائلا بعد عرض أقوال السلف: (وأجمع هذه الأقوال أن المحكم ما كان قائما بنفسه لا يحتاج إلى استدلال والمتشابه ما لم يقم بنفسه واحتاج إلى استدلال)[١] .وبهذا نرى اتفاقهما ضمنيا على أن معنى المحكم : ما كان قائما بذاته ولا يحتاج إلى دليل ، والمتشابه ما احتاج إلى دليل ونظر .

ثانيا: : الناسخ والمنسوخ:

من القضايا التي اعتنى أهل الأصول وعلماء التفسير بمناقشتها قضية الناسخ والمنسوخ ، ولا يسع مفسر أن يتناول كتاب الله –عز وجل – بالتفسير إلا ويتعرض لهذه القضية أثناء تفسيره لكتاب الله – تعالى- والنسخ هو :(رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي)[٢] ، وهو مما اتفق عليه علماء الأمة ومنهم الإمامان الزجاج والنحاس اللذين تعرضا لقضية الناسخ والمنسوخ ، وإن كان أبو جعفر النحاس أكثر تناولا لهذه القضية ؛ لأنه أفرد النحاس تصنيفا خاصا بالناسخ والمنسوخ، وقد ظهر على منهج الإمامين الاعتماد على النسخ في كثير من دفع التعارض الظاهر بين الآيات ، ومن النماذج التي ظهرت لي باستقراء الكتابين :

أولا : من تفسير الزجاج أنه قال بنسخ أحكام آيات كثيرة مثل آية الصيام التي قال إنها منسوخة بنص وإجماع[٣] وعدة المتوفى عنها زوجها حولا كاملا قال نسخت بإجماع [٤] والقول بأن آية السيف نسخت آيات العفو والصبر والصفح عن المشركين .

(١) معانى القرآن للنحاس ٣٤٤/١.
(٢) مباحث في علوم القرآن للشيخ / صبحى الصالح ص: ٢٦١.
(٣) معانى القرآن للزجاج ٢٥٣/١.
(٤) معانى القرآن للزجاج ٣٢١/١.

ثانيا :وكما تناول الزجاج قضية النسخ تناولها أيضا النحاس ،ونقل دعاوى النسخ في كثير من المواضع بل ويرد أحيانا دعاوى النسخ التي لا حاجة للقول بها مثل ما قال في تفسير قوله – تعالى- : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . آل عمران ١٠٢) قال – رحمه الله- : (وقال قتادة نسخ هذه الآية قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم)قال أبو جعفر : لا يجوز ان يقع في هذا ناسخ ولا منسوخ لان الله – تعالى- لا يكلف الناس إلا ما يستطيعون)[١] .

ثالثا: الاشتراك اللفظي :

يعرف العلماء الاشتراك بأنه :(اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللغة)[٢] وقد تعرض كل من الشيخين للألفاظ المشتركة ،ويبدو أن منهج كل منهما إعمال المشترك في كلا معنييه ما أمكن ذلك ، و والدليل على هذا قول الزجاج في تفسير قوله- تعالى- : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ...البقرة ٢٢٨) حيث نقل عن أهل الكوفة أنه الحيض ، وأهل الحجاز أنه الطهر ، ثم علق قائلا : (فإنما القرءُ اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطهر، وقد يكون اجتماعه في الرحم، وكلاهما حسن وليس بخارج عن مذاهب الفقهاءِ، بل هو تحقيق المذهبين، والمقرأة الحوضُ الذي يقرأ فيه الماءُ أي يجمع، والمَقرَأ الإناءُ)[٣] وقد وافق النحاس شيخه في هذا لأمر فقال : (والقرء عند أهل اللغة الوقت فهو يقع لهما جميعا قال الأصمعي ويقال أقرأت الريح إذا هبت لوقتها[٤] .

(١) معانى القرآن للنحاس ٤٥١/١.
(٢) البحر المحيط في أصول الفقه ٣٧٧/٢. للعلامة الزركشي المتوفى ٧٩٤هـ) الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
(٣) معانى القرآن للزجاج ٣٠١/١.
(٤) معانى القرآن للنحاس ١٩٧/١.

رابعا: المترادف :

يعرف العلماء المترادف فيقولون : (اتحاد المعنى وتعدد اللفظ)[١] وقد اختلف العلماء في وقوعه في القرآن فمنهم من أجاز وقوعه مثل ابن جنى[٢] ومنهم من منع وقوعه مثل ابن فارس[٣] فما هو موقف الإمامين من المترادف ووقوعه في القرآن ؟ والجواب المستنبط من استقراء كلا الكتابين والتأمل فيهما أنهما يقولان بترادف الألفاظ في مواضع معينة وليس في كل المفردات بل منها ماو ضحا فيه الفرق بين الألفاظ ودليل ذلك:

أولا : من معانى القرآن للزجاج قوله (معنى ختم في اللغة وطبع معنى واحد. وهو التغطية على الشيء)[٤] وقوله : (ومعنى فاءوا في اللغة وعادوا معنى واحد)[٥] ومن الأدلة على قوله بعدم وقوع الترادف في بعض الألفاظ قوله في تفسير لفظ الأمة : (والأمة في اللغة أشياءُ، فمنها الأمة الدين، وهو هذا، والأمة القَامة يقال فلان حسن الأمَّة، أي حسن القامة. قال الشاعر[٦] وأن

(١) التحبير في علم التفسير للعلامة السيوطي ص:٢١٦.ط. دار المنار . الطبعة الأولى .
(٢) ابن جنى : أبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ. البداية والنهاية ٣٤٨/١١. وقد بين موقفه من الترادف في كتابه الخصائص الذى عقد له بابا سماه (تلاقى المعاني على اختلاف الأصول والمباني) انظر الخصائص ١٣٥/٢.ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٣) ابن فارس : ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ . بغية الوعاة ٣٥٢/١.وقد ذكر موقفه من الترادف في كتابه الصاحبي حيث قال في باب الأسماء كيف تقع على المسميات : (ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى).انظر الصاحبي ص: ٥٩. ط. دار الكتب العلمية .
(٤) معانى القرآن للزجاج ٨٢/١.
(٥) معانى القرآن للزجاج ٣٠٠/١.

الشاعر[1] وأن معاوية الأكرمين ....حِسَان الوجُوه طوال الأمَمْ أي طوال القامات، والأمة القرن من الناس، يقولون قد مضت أمَمٌ أي قرون، والأمة الرجَل الذي لا نظير له. ومنه قوله عزَّ وجلَّ - (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) قال أبو عبيدة معنى (كَانَ أُمَّةً) كان إمَاماً، والأمة في اللغة النَعْمَةُ والخير. قال عدي بن زيد[2] ثم بعد الفلاح والرشد والأمَّةِ وارثُهُمُ هناك القبور)[3].

ثانيا :ومن تفسير النحاس قوله في مواضع بالترادف مثل : («أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ...هود١٧»قال :البينة والبيان بمعنى واحد)[4] ومن الأمثلة التي قال فيها بعدم الترادف : (وقوله تعالى: الحمد لله الفرق بين الحمد والشكر ان الحمد أعم لأنه يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر والجزاء والشكر مخصوص بما يكون مكافأة قد لمن أولاك معروفا ، وخصال الحمد أثبت في الآية لأنه يزيد على الشكر)[5].

ونخلص من ذلك ان الشيخين متفقان في هذه القضية بالقول بالترادف واتحاد المعنى عند ما يناسب ذلك من الألفاظ والقول بالاستعمال في أكثر معني في الألفاظ التي تجيز ذلك .

خامسا: توجيه القراءات :

---

(٦) قائل البيت هو الأعشى وَهُوَ مَيْمُون بن قيس بن جندل ، نسبه إليه أبو على القالى في أماليه انظر أمالى القالى٣٠١/٢. ط. دار الكتب المصرية. ترتيب / محمد عبد الجواد الأصمعي. الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م

(١) عدى بن زيد : عدي بن زيد بن مَالك بن عدي بن الرّقاع ،انظر طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ٦٨١/٢. والبيت نسبه له في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٢٠/١ .ط. دار الحديث –القاهرة .

(٢) معانى القرآن للزجاج ٢٨٣/١.

(٣) معانى القرآن للنحاس٣٣٧/٣

(٤) معانى القرآن للنحاس٥٧/١.

أشرنا في مصادر تفسير الإمامين الجليلين إلى اعتمادهما على المنقول من القراءات بأنواعها المتواتر ، أو الشاذ أو التفسيري، وكما اهتما – رحمهما الله بالرواية في باب القراءات اهتما بها أيضا دراية أعنى التوجيه والتحرير والمعنى المراد على كل قراءة ، وقد أجادا في هذا الباب خاصة وهما لهما باع في اللغة والنحو والتصريف ، ومن النماذج على ذلك:

أولا: من معانى القرآن للزجاج :

قوله عند تفسير قوله –تعالى- : (وقوله عزَّ وجلَّ: «وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ» البقرة(٥١)) ويقرأ: (وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى) وكلاهما جائز (حسن) واختار جماعة من أهل اللغة، وإذ وعدنا بغير ألف: وقالوا: إنما اخترنا هذا لأن المواعدة إنما تكون لغير الآدميين، فاختاروا (وعدنا) وقالوا دليلنا قوله عزَّ وجلَّ (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ) وما أشبه هذا ،وهذا الذي ذكروه ليس مثل هذا وواعدنا هنا جيد بالغ، لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من اللَّه عزَّ وجلَّ وعدٌ ومن موسى قبول واتِّبَاعٌ فجرى مجرى المواعدة).[١]

ثانيا : من معانى القرآن للنحاس:

قال –رحمه الله- في تفسير قوله –تعالى- : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا...المائدة (٢)) : وقرأ أبو عمرو (إن صدوكم)بكسر الهمزة بمعنى الشرط ، وروي عن الاعمش أنه قرأ أن يصدوكم، وهو لحن عند النحويين لان أن إذا جزمت لم يتقدم جوابها والمعنى على قراءة من فتح (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ) لأن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ومن كسر فالمعنى عنده أن فعلوا هذا والمعنى على الفتح لأنه يروى أن النبي - ﷺ- لما فتح مكة قتل رجل من أصحابه رجلا من أهل مكة كان يقتل حلفاء النبي - ﷺ - فنزلت هذه الآية)[٢]

(١) معانى القرآن الزجاج ١١٣/١.
(٢) معانى النحاس ٢٥٤/٢

المطلب الرابع

اتفاقهما في الاعتناء بالموازنة والترجيح :

لم يقف دور الإمامين الجليلين عند حد النقل والرواية فقط بل كان لهما دور ظاهر في ترجيح الأقوال ونقد الضعيف منها و وتوجيه الصحيح ، مما دل على غزارة العلم وقوة الحجة وسبر أغوار الأقوال ومن النماذج على ذلك:

من تفسير الزجاج :

قوله في تفسير قوله تعالى (أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)، (زعم - أبو الحسن الأخفش أنَ " أنْ " ههنا زائدة - قال: المعنى وما لنا لا نقاتل في سبيل اللَّه، وقال غيره، وَمَا لَنَا فِي ألا نُقاتل في سبيل اللَّه." في " وقَال بعْضُ النحويين إنما دخلت " أن" لأنَّ " ما " معناه ما يمنعنا فلذلك دخلت " أن " لأن الكلام ما لك تفعل كذا كذا. والقول الصحيح عندي أنَّ " أن " لا تلغى ههنا، وأن المعنى وأي شيء لنا في أنْ لا نقاتل في سبيلِ اللَّه، أي شيء لنا في ترك القتال)[1]

من تفسير النحاس :

ما ذكره في تفسير قوله –تعالى- : (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ..الروم (٤٩))، قال –رحمه الله-(قوله -جل وعز- « وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (في تكرير «قبل» ههنا ثلاثة أقوال: أ - قال الأخفش سعيد: هذا على التوكيد وأكثر النحويين على هذا القول ، ب-وقال قطرب : أي وإن كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر ج-

(١) معانى القرآن للزجاج ١٤٣/٢.

والقول الثالث عندي أحسنها وهو أن يكون المعنى من قبل السحاب أي من قبل رؤية السحاب ليائسين وقد تقدم ذكر السحاب)[٢] .

المطلب الخامس

اتفاقهما في التفسير الفقهي وبيان آيات الاحكام :

من جوانب الاتفاق بين أبى إسحاق الزجاج وأبى جعفر النحاس مناقشة بعض الأحكام الفقهية من خلال تفسير آيات الأحكام ، ومن ذلك :

أولا : تفسير الزجاج :

لم يترك –رحمه الله- آية تتضمن حكما من الأحكام إلا وأشار إليه ، أو تعرض له تفصيلا أو وإجمالا ، ترجيحا أو تضعيفا، ولولا خشية الخروج عن مضمون البحث لبينت ذلك ، ولكن اكتفى بذكر مثال يدل على ذلك :

ففي تفسيره لقول الله تعالى – (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) قال : (اختلف الناس في قبول شهادة القاذف، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا تَابَ مِنْ قَذْفِهِ قُبِلَتْ شهادَتُه. ويروى أَنَ عُمَر بنَ الخَطَّابِ قَبلَ شهادة قاذفيْن، وقال لأبي بكرة[١] إنْ تُبْتَ قَبِلتُ شَهَادَتَه وتوبتُه أَن يرْجَع عن القذف. وهذا مذهب أكثر الفقهاء، وأما أَهْلُ العِرَاقِ فيقولون شهادتُه غير مقبولة لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا)،...).[٢]

ومن تفسير النحاس :

فقد نهج أيضا – رحمه الله- نهج شيخه في تناول تفسير آيات الأحكام ، فمن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : (...وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا. الآية (المائدة: ٩٥)) قال : - جل وعز- (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا...) أكثر الفقهاء

(٢) معانى القرآن للنحاس ٢٦٨/٥.

(١)) أبو بكرة : نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو ، أسلم يوم الطائف وتوفى سنة ٥١هـ . أسد الغابة ٣٩/٥.

(٢) معانى القرآن للزجاج ٣١/٤.

على أن عليه الجزاء سواء كان متعمدا أو مخطئا وذهبوا الى قوله تعالى (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) مردود إلى قوله - جل وعز- (ومن عاد فينتقم الله منه) ، واحتجوا في ذلك بأن النبي - ﷺ - (سئل عن الضبع فقال هي صيد) [1] وجعل فيها إذا أصابها المحرم كبشا ولم يقل عمدا ولا خطأ قال الزهري هو في الخطأ سنة وقال بعض أهل العلم انما عليه الجزاء إذا قتله متعمدا)[2].

بهذه المطالب الخمس أكون قد حصرت قدر الاستطاعة وجوه الاتفاق بين الإمامين الجليلين أبى إسحاق الزجاج وأبى جعفر النحاس قدر استطاعتي لأنتقل بعد ذلك إلى الجزء الثاني من المقارنة وهو وجوه الاختلاف بينهما في التفسير والدرية .

(١) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه عن بسنده عن جابر بن عبد الله –رضى الله عنهما .حديث رقم (٣٢٣٦) (.كتاب الصيد) باب (الضبع).وصححه الألباني في التعليقات الحسان ١٣٤/٢. ط. دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٢) معانى القرآن للنحاس ٣٦٠/٢.

الفصل الثاني

مواضع الاختلاف بين الإمامين في تفسيريهما

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مواضع الاختلاف في التفسير بالرواية

المبحث الثاني : مواضع الاختلاف في التفسير بالدراية

المبحث الأول

اختلافهما في التفسير بالرواية

عرفنا من ترجمة الإمامين أبى إسحاق الزجاج وإبى جعفر النحاس – رحمهما الله- أن النحاس جلس بين يدى شيخه الزجاج وأخذ عنه واستقى من علمه ؛ و لهذا كان من الصعوبة بمكان أن يلتمس الباحث فروقا ما بين الكتابين ، ولكن إمامة كل منهما في فقه العلوم اللغوية والشرعية جعلت لكل تصنيف منهما طابعه الخاص والدقيق الذى نستطيع أن نلمحه ونستخرجه باستقراء الكتابين ، على أننا نؤكد أن هذه المقارنة ليس مقصودا بها المفاضلة أو تمييز كتاب على آخر بما يقلل من قيمة أي منهما العلمية ، بل المقصود كشف وجوه الاختلاف التي تبين اهتمام كل شيخ بجوانب مغايرة للكتاب الآخر.

هذا وقد تبين من الفصل الأول أوجه الاتفاق بين الإمامين الجليلين أبى إسحاق الزجاج وأبى جعفر النحاس في التفسير بالمأثور ، ولا شك ان هناك أوجه تباين بين كلا التفسيرين تدل على أن كل إمام له منهجه وأثره في تفسيره، وتتلخص أوجه الاختلاف بين التفسيرين في المطالب التالية:

المطلب الأول : اختلافهما في القدر المروي من التفسير بالمأثور

المطلب الثاني : اختلافهما في نسبة الأقوال وتوثيقها

المطلب الثالث: اختلافهما في إيراد الإسرائيليات والرد عليها

المطلب الأول

اختلافهما في القدر المروي من التفسير بالمأثور

من أوجه الاختلاف الظاهرة بين التفسيرين في التفسير بالمأثور أن هناك تفاوتا ملحوظا في إيراد المرويات، حيث إنها في تفسير النحاس أكثر انتشارا منها في تفسير الزجاج ، وليس ذلك مما يقلل قيمة كتاب الزجاج ،فهو معنى بالمرويات ومهتم بها ، ولكنى أرى أنه أقل إلى حد ما من تفسير النحاس في هذه الناحية ؛ لأنه التزم في أول كتابه باختصار معانى القرآن ولعل ذلك ما دفعه إلى التقليل من المرويات بما لا يضر بتفسيره ، إضافة إلى ذلك فإن الزجاج بذل جهدا كبيرا في تتبع المفردة القرآنية واشتقاقاتها ، فالصنعة اللغوية غالبة عنده على الصنعة التفسيرية مما جعل تفسيره أقل في نقل المرويات من معانى النحاس.

المطلب الثاني

اختلافهما في نسبة الأقوال وتوثيقها

يلاحظ المتتبع للمرويات في تفسير أبى إسحاق الزجاج مصطلحا شائعا منتشرا في كتابه فهو عادة ما يقول عند رواية الآثار (جاء في التفسير) أو(يروى في التفسير) أو (يقال في التفسير) أو (ذكر في التفسير) ونحو هذه الصيغ التي لا تصرح باسم الراوي ، ولعله اصطلح على هذه الصيغة في كتابه دون أن يصرح باسم المروى عنه ، وسار على ما اصطلح عليه ،ومن الأدلة على ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : (...وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ... البقرة : ٢٥٣) قال : (وقوله عزَّ وجلَّ: (وَرَفعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)) . : جاءَ في التفسير أنه يُعْنَى به محمدٌ - ﷺ - أرْسِل إلى الناس كافة)[١] ومنه قوله في تفسير قوله تعالى ((..فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ...البقرة :٢٤٩) قال ((فَشَرِبُوا مِنْهُ إلا قَلِيلاً مِنْهُمْ) شربوا منه ليرجعوا عن الحرب ؛ لأنه قد أعلمهم ذلك، وذكر في التفسير أن القليل الذين لم يشربوا كان عدتهم ثلاثمائة وبضعة ...)[٢] ومنه قوله في تفسير قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى ...البقرة :٢٦٠) قال : (ويروى في التفسير أنه كان مرَّ بجيفَةٍ على شاطئ البحر والحيتان تخرج من البحر فتنتف من لحم الجيفة)[٣].

أما في تفسير النحاس فنسبة الأقوال إلى قائليها أكثر منه في تفسير الزجاج فلا يكاد يروى أثر إلا وينسبه إلى قائله وإن لم يسند هذا القول

(١) معانى القرآن للزجاج ٣٣٣/١
(٢) معانى القرآن للزجاج ٣٣١/١
(٣) نفس المصدر ٣٤٥/١.

ليختلف بذلك عن شيخه في هذا الجانب من التفسير .والأمثلة على أكثر من أن تتسع لها صفحات هذا البحث .

المطلب الثالث

اختلاف مواقفهما في الرد على الإسرائيليات

يتشابه كلا الكتابين في إيراد الإسرائيليات ضمن التفسير بالمنقول من المرويات وهذا لم يخل منه أي من التفسيرين ولكن تكاد مواقفهما تتباين في هذا الجانب من ناحيتين :

الأولى : أن الإسرائيليات في تفسير معانى القرآن للزجاج وردت في مواضع كثيرة من الكتاب و لكنها عند النحس وإن كانت موجودة إلا إنها أقل.

الثانية : أن النحاس أحيانا يرد على هذه الإسرائيليات ولا يقبلها وهذا لا يكاد يوجد في تفسير الزجاج ولنأخذ مثالا على ذلك ففي تفسير قوله تعالى (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ سورة ص: ٢١) قال كلاما كثيرا منقولا عن الإسرائيليات ومنه قوله (وكان في التفسير أن داود أحب أن يُتْلِفَ أُورِيَّا حتى يتزوج داود بامرأته. وهذا - واللَّه أعلم - إنما كان من داود على جهة محبَّة أن يتفق له ذلك من غير أن يتعمد أو يسعى في دم الرجل، فجعله اللَّه له ذنباً لما أحبه. ويجوز أن يكون كتب في أن يُقَدَّمَ أمام التابوت هذا الرجُلُ لبأسه ونَجْدَتِه في الحرب ورَجَا كفايته فاتفق مع ذلك أن أصيب وبه حلت له امرأته فعوتب على محبة امرأة رجل ليس له غيرها، ولداود تسع وتسعون امرأة، فكان ذلك من ذنوب الأنبياء، فلما بالغ في التوبة وجهد نفسه في الرغبة إلى اللَّه في العفو حتى كاد أن يتلف نفسه تائباً ومُتَنَصِّلاً إلى اللَّه من ذنبه، واللَّه عزْ وجل قد وصف ذلك فقال: (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ

أَوَّابٌ). وَقَوْل عَلِيٍّ عليه السلام - : (صلى اللَّه على داود ورحمه) يدل على صحة هذا التأويل، واللَّه أعلم.)[1] !

وبهذه المطالب الثلاثة تتضح وجوه الاختلاف بين الكتابين في قضية المروي بالمأثور .

(١) معانى القرآن للزجاج ٣٢٨/٤

المبحث الثاني

اختلافهما في التفسير بالدراية:

بينت في المبحث الثاني من الفصل الأول كيف التقى الكتابان في نقاط مختلفة من مجال التفسير بالدراية ، وإتماما للفائدة أذكر الوجوه التي تباين فيها الكتابان في أبواب التفسير بالدراية مستخلصة في المطالب التالية :

المطلب الأول

اختلاف موقفهما في معنى الحروف المقطعة

تناول كل من الإمامين الجليلين شرح معنى الحروف المقطعة في أوائل السور ولكنهما تباينا في بيان المراد منها فالزجاج – رحمه الله- اكتفى بسرد أقوال المفسرين دون أن يرجح واحد منها فذكر رأى أبى عبيدة[١] أنها افتتاح كلام ، وذكر قول قطرب أنها ذكرت لتدل على أن هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف المقطعة التي هي حروف أ. ب. ت. ث. ، وذكر قول الشعبي[٢] أنها: سر من أسرار القرآن، وهكذا سرد أقوال المفسرين تلو أقوال اللغويين ثم عقب قائلا: (هذا جميع ما انتهى إلينا من قول أهل اللغة والنحويين في

(١) أبو عبيدة : معمر بن المثنى اللغوي البصري أبو عبيدة مولى بني تيم؛ تيم قريش؛ رهط أبو بكر الصديق. أخذ عن يونس وأبي عمرو. وهو أول من صنف غريب الحديث. توفى سنة ٢٠٩هـ وقيل غير ذلك. بغية الوعاة ٢٩٦/٢.

(٢) الشعبي : علامة التابعين أبو عمرو عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي من شعب همدان: مولده في أثناء خلافة عمر في ما قيل كان إماما حافظا فقيها متفننا ثبتا متقنا ، توفى سنة ١٠٤هـ . انظر تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي ٦٣/١. ط. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

معنى (ألم) وجميع ما انتهى إلينا من أهل العلم بالتفسير)[٣] دون أن يبين لنا مذهبه فيها ، أما النحاس فقد اختلف عن ذلك بأن نقل أقوال المفسرين واللغويين ثم عقب بما يراه أقرب للصواب فقال : (وهذه الأقوال يقرب بعضها من بعض لأنه يجوز أن تكون أسماء للسورة وفيها معنى التنبيه) [١].

المطلب الثاني

اختلاف موقفهما في بيان المكي والمدني :

من الوجوه التي لاحظتها في الاختلاف بين الكتابين أن هناك تباينا إلى حد ما في تناول قضية المكي والمدني سواء ما يتعلق بالسور أو ما يتعلق بالآيات ، ووجه هذا الاختلاف أن الزجاج رحمه الله لم يتناول هذه القضية في كل سور القرآن كما فعل النحاس بل اهتم ببعض السور دون بعض وهذا منه – رحمه الله- ؛ لأنه يقصد إلى المعاني أكثر فإذا احتاج الأمر إلى بيان المكي والمدني تطرق لذلك بل ويبين الخلاف في بيان مكية السورة من مدنيتها ومثال ذلك قوله في أول سورة التغابن (مكية ما خلا ثلاث آيات نزِلت بالمدينة، وهي من آخرها قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ. . .) إلى آخرها ، وقيل إن الصحيح أنها مدنية كلها.)[١] ومثل ما فعل في تفسير قوله تعالى : (وقوله: (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥) هذا كما قال: (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢). وهذا قبل أن يؤمر النبي - ﷺ - بالحرب لأن سورة (ق) مكية.))[٢] .

أما الإمام أبو جعفر النحاس فقد اهتم ببيان المكي من المدني من أول سورة في القرآن إلى آخر كتابه.

---

(٣) معانى القرآن للزجاج ٥٧/١.
(١) معانى القرآن للنحاس ١/ ٧٦.
(٢) معانى القرآن للزجاج ٢٧٩/٥.
(٣) نفس المصدر ٥٠/٥.

المطلب الثالث

اختلاف موقفهما في توجيه بعض القراءات

بينت في الفصل السابق اتفاق الإمامين على نقل القراءات وتوجيهها في مجال اتفاقهما في الرواية والدراية ، وقد لاحظت فرقا بينهما في الموقف من القراءات المتواترة التي تبدو مخالفة لوجه من وجوه العربية ، وهذا الفرق أن الزجاج – رحمه الله- كان يتخذ موقفا نقديا لاذعا من القراءات المتواترة التي تخالف وجوه اللغة ، وهذا من المآخذ التي تؤخذ على كتابه ؛ لأن العربية لا تصحح القراءة وإنما القراءة هي التي تصحح العربية كما قال العلامة ابن المنير الإسكندري(١) في حاشيته على الكشاف: (وليس غرضنا تصحيح القراءة بالعربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة) (٢) .

ومن النماذج التي نقد فيها الزجاج القراء نقدا لاذعا :قراءة حمزة بن حبيب(٣) ((والأرْحَامَ) بالخفض حيث قال : (القراءَة الجيّدةُ نصب الأرحام. المعنى واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فأما الجر في الأرحامِ فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر ، وخطأ أيضاً في أمْر الدين عظيم؛ لأن النبي

(١) ابن المنير : أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، [أبو العباس]، ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني توفى سنة ٦٨٣هـ.معجم المؤلفين ٢١٤/٦.

(٢) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير ٦٧/٢. ط. دار الكتب العلمية .

(٣) حمزة : حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل الزيات ،أحد القراء السبعة ، توفى سنة ١٥٦هـ ،وقيل غيرذلك . غاية النهاية ١/ ٢٦١.

– ﷺ – قال : (لا تحلفوا بآبائكم)[١] فكيف يكون تساءلون به وبالرحم على ذا ؟ رأيت أبا إسحاق إسماعيل بن إسحاق[٢] يذهب إلى أن الحلف بغير الله أمر عظيم، وأن ذلك خاص للَّهِ - عزَّ وجلَّ - على ما أتت به الرواية ، فأما العربية فإجماع النحويين أنه يَقْبحُ أنْ يُنْسق باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الجر إلا بإظهار الجار، يَسْتَقْبح النحوُيون: مررت به وزيدٍ. وبك وزيدٍ، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبزيد)[٣]. ومن ذلك ايضا قوله في تفسير قوله تعالى ((مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ...إبراهيم: ٢٢).

قال : (أي ما أنا بمُغيثكم، ولا أنتم بمُغِيثي، قُرِئَتْ بِمُصْرِخِيَّ - بفتح الياء. كذا قرأه الناس، وقرأ حمزة والأعشى بمصرخي بكسر الياء، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف)[٤]

وهكذا ينقد الزجاج هذه القراءات نقدا شديدا مقدما فيه رأى النحويين على ما تواتر من القراءة.

أما أبو جعفر النحاس فلم ينقد مثل هذا النقد بل كان يروى القراءة دون أن يعلق عليها مثلما فعل في تفسير قوله تعالى (وَالْأَرْحَامَ) قال : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) قال عكرمة : المعنى : واتقوا الارحام أن تقطعوها ، وقال إبراهيم[٥]: هو من قولهم (أسألك بالله) والرحم ، قال أبو جعفر : وهذا على قراءة من قرأ بالخفض) . قلت وتأكيد

(٤) صحيح أخرجه البخارى حديث رقم (٣٨٣٦)٥/٤٢.

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، القاضي أبو إسحاق الأزدي، مولاهم، البصري المالكي ، توفى سنة ٢٩٠هـ . غاية النهاية ١/ ١٦٢.

(٢) معانى القرآن للزجاج ٦/٢.

(٣) نفس المصدر ٣٢١/٢.

(٤) إبراهيم : إبراهيم النخعي فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي الفقيه، توفى سنة ٩٦هـ . تذكرة الحفاظ ٥٩/١.

لهذا الموقف راجعت موقف النحاس في كتابه إعراب القرآن فوجدته مشابها لما في المعاني حيث أكتفى بذكر القراءة ومن ضعفها دون أن ينقدها في موضع النساء[1]، وضعف قراءة (مصرخي) دون أن يبالغ في الرد[2].

وبهذا يظهر تباين بين موقف الإمامين في التعليق على هذه القراءات وإن كنت لا أتفق معهما في رد قراءة متواترة.

١ إعراب القرآن للنحاس ١٩٨/١. ط. دار الكتب العلمية –بيروت. وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم.

٢ نفس المصدر ٢٣١/٢.

المطلب الرابع
اختلافهما في التوجيه اللغوي :

من أهم وجوه الاختلاف بين كتابي معانى القرآن للزجاج وكتاب معانى القرآن لتلميذه أبى جعفر النحاس أن هناك تباينا كبيرا بينهما في الاهتمام باللغة والإعراب ، وتأصيل المعاني فقد توسع الزجاج في ذلك أيما توسع فأجاد وأفاد ، حتى أصبح كتابه مصدرا هاما لكتب الكبار مثل الكشاف في التفسير ، ومغنى اللبيب لابن هشام[١] في النحو ، بل قال بعض الباحثين: (إنه على يديه نضج التأليف في علم المعاني)[٢] وأنه يمثل نقطة التحول في كتب المعاني

أما أبو جعفر النحاس فكما يقول الباحثون : (وأبو جعفر اتجه في المعاني اتجاها تفسيريا فلم يهتم بالنحو كل الاهتمام ولم يعطه اهتمامه الأول باعتباره نحويا ، بل عمد إلى بيان المعاني ، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ ، وما تدعو إليه الحاجة من بيان الغريب ، والاشتقاق والإعراب ، ويذكر من القراءات ما يحتاج إلى تفسير معناه)[٣] ، قال في مقدمته :(فقصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني ، والغريب ، وحكام القرآن ، والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة و وأذكر من قول الجلة من العلماء باللغة ، وأهل النظر ما حضرني وابين من تصريف الكلمة واشتقاقها إن علمت ذلك . وأتي من القراءات بما يحتاج الى تفسير معناه ، وما احتاج إليه المعنى من الاعراب ، وبما احتج به العلماء في مسائل سأل عنها المجادلون وأبين ما فيه حذف أو اختصار أو إطالة لإفهامه لو وما كان فيه تقديما أو تأخير

(١) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الشيخ جمال الدين الحنبلي النحوي الفاضل، العلامة المشهور، توفى سنة ٧٦١هـ. بغية الوعاة ٦٩/٢.
(٢) النحو وكتب التفسير للدكتور /إبراهيم عبد الله رفيدة ص: ٤٣٧.
(٣) نفس المصدر ص:٤٦٩.

واشرح ذلك حتى يتبينه المتعلم وينتفع به كما ينتفع العالم بتوفيق الله وتسديده)[1] .

وخلاصة هذا المطلب أن الشيخ الزجاج تميز كتابه بالمعاني والإعراب بجانب التفسير ، وفاق بذلك كتاب النحاس الذى قصد إلى التفسير في المقام الأول ،ولهذا قيل إن علم المعاني نضج على يدى الزجاج في كتابه معانى القرآن وبدأ مرحلة جديد من التدوين فصل فيها بين معانى القرآن وإعرابه.

وهذا يظهر فرقا جوهريا بين الكتابين هو من أهم وجوه المقارنة بينهما.

(١) معانى القرآن للنحاس ٤٢/١.

خاتمة

وتشمل أهم النتائج والتوصيات

تأتى في خاتمة هذا البحث بعض النتائج التي ظهرت لي أثناء مقارنة كتابي معانى القرآن للزجاج ومعانى القرآن لأبى جعفر النحاس والتي أجملها فيما يلى :

النتيجة الأولى : أنه قد اشتهر في كتب المعاني في تفسير القرآن الكريم كتب متعددة مثل معانى القرآن للفراء ، ومعانى القرآن للأخفش ،معانى القرآن لأبى إسحاق الزجاج ومعانى لقرآن لأبى جعفر النحاس ،ومع تعدد هذا النوع من التأليف في تفسير القرآن إلا إنها كتب متنوعة كل منها أضاف فكرا جديدا ومرحلة جديدة في تطور علم التفسير والمعاني .مما يدل على أهمية كل كتاب منها وأن أحدها لا يغنى عن الآخر .

النتيجة الثانية : خلت كتب المعاني عموما وكتابا الزجاج و النحاس - محل المقارنة - خصوصا من شائبة التكرار أو التقليد ، بل ظهرت شخصية كل عالم واضحة جليه في منهجه وترجيحه ومناقشاته لمن سبقه من العلماء مما يدل على القيمة الكبيرة لهذين الكتابين ،

النتيجة الثالثة : خلو كلا الكتابين من التعصب لمدرسة بعينها من مدارس النحو واللغة أو التفسير اللهم إلا في مواضع قليلة من تفسير الزجاج عند مناقشة القراءات التي لا يرى لها وجها في العربية .

النتيجة الرابعة : تفوق الشيخ الزجاج على تلميذه أبي جعفر النحاس في الصنعة اللغوية والاهتمام بها في تفسيره ، حيث لم يكن معانى القرآن للنحاس على نفس التوسع في هذه القضية بل إنه اهتم بالصنعة التفسير من اهتمامه بالصنعة اللغوية ليمثل بذلك طورا جديدا من أطوار مصنفات التفسير لمعاني القرآن ..

النتيجة الخامسة : أن كتب معانى القرآن مثلت ركيزة أساسية في تصنيف وتأليف كتب التفسير التي اتخذتها مصدرا ومرجعا ، كما بينت كيف ظهرت مادة هذين الكتابين في كتب التفسير المعتمدة بل قلما يخلو كتاب من ذكرها والاستشهاد بما جاء فيها .

ومن أهم التوصيات التي أختم بها البحث :

أولا : أن يزيد اهتمام الباحثين بدراسات المقارنة كحقل خصب من حقول الدراسات التفسيرية ،ولما تظهره هذه الدارسات من فوائد ودقائق تظهر من استقراء الكتب محل الحل المقارنة ، ولما تظهره دراسات المقارنة من تميز كل عالم فيما كتب وصنف .

ثانيا : دعم هذه الدراسات من خلال تدريس علم المقارنة في مناهج البحث العلمي ليتعرف الباحثون على الطريق' المثلى للمقارنة بين كتابين .

ثالثا: أن يتحلى الباحث في علم المقارنة بالموضوعية والحياد دون أن يميل قلمه لأحد عنصري المقارنة لسبب مذهبي ، أو تأثر بكتاب دون آخر ، وإلا لن تؤتى المقارنة ثمارها إذا لم تبن على تصور صحيح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس أهم المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعاقري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ .

٢- اختيارات أبى جعفر النحاس في التفسير إعداد الدكتور/عبد الهادي بن علي بن سعيد الزهراني. أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة لنيل درجة الدكتوراه. وزارة التعليم العالي - جامعة أم القرى - .كلية الدعوة وأصول الدين.

٣- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة . لعز الدين ابن الأثير .- الناشر: دار الفكر – بيروت عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة- الأولى- ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٦- إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس – الناشر دار الكتب العلمية – بيروت. وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم.

٧- أمالى القالي لأبى علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ) ط. دار الكتب المصرية. ترتيب / محمد عبد الجواد الأصمعي. الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م

٨- إنباه الرواة على أنباه النحاة للشيخ العلامة جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ) الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
٩- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير ٦٧/٢. ط. دار الكتب العلمية
١٠ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

١١- البحر المحيط في أصول الفقه للعلامة بدر الدين الزركشي المتوفى (٧٩٤هـ) الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٢- تاريخ بغداد لأبى بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ). ط. دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م. تحقيق / الدكتور بشار عواد معروف.
١٣- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. المؤلف: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ) تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
١٤- التحبير في علم التفسير للعلامة السيوطي المتوفى (٩١١ه) - الناشر - دار المنار . الطبعة الأولى .
١٥- تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي - الناشر - دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٦ - تقريب التهذيب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: محمد عوامة الناشر: دار الرشيد – سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

١٧- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه للعلامة ناصر الدين الألباني - الناشر - دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية .
١٨- التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣
١٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لأبى عبد الله البخاري المتوفى سنة(٢٥٦ه) . محقق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٠- الخصائص المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة
٢١- ديوان لبيد بن ربيعة العامري .الناشر - دار المعرفة - . اعتنى به: حمدو طمّاس الطبعة- الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى- لمكتبة المعارف.
٢٣- سير أعلام النبلاء . شمس الدين الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٤- الشعر والشعراء لابن قتيبة ط. دار الحديث –القاهرة .
٢٥- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تأليف الإمام العلامة أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – علق عليه ووضع حواشيه / أحمد حسن بسبح.
٢٦- طبقات فحول الشعراء المؤلف: محمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي (المتوفى: ٢٣٢هـ) المحقق: محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني – جدة
٢٧- طبقات الحفاظ للسيوطي . طبعة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ

٢٨- الطبقات الكبرى. طبعة . دار صادر. المحقق: إحسان عباس الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م
٢٩- طبقات المفسرين للداوودي المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٠- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي الأندلسي المتوفى سنة(٣٧٩هـ) طبعة دار المعارف القاهرة . تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم .
٣١- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين بمحمد بن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ.طبعة دار الكتب العلمية-بيروت-
٣٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لمؤلفه /مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) مكتبة المثنى – بغداد.
٣٣- مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ، طبعة مؤسسة الرسالة .الطبعة الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
٣٤- مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحى الصالح ، طبعة دار العلم للملايين الطبعة الرابعة والعشرون ٢٠٠٠م.
٣٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ .
٣٦- معانى القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٣٧- معاني القرآن لأبى جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) المحقق: محمد علي الصابوني الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

٣٨- معجم المؤلفين للأستاذ / عمر رضا كحالة ٣٣/١. ط. عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ط. مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٩- المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية .
٤٠- مقدمة في أصول التفسير لتقي الدين ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.
٤١- الموطأ باب (ما جاء في أم القرآن) حديث رقم (٣٧) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان .